



التجمع العالمي لفرق السيدة – فاطيما 2018

17 تموز 2018

الكاردينال ريركاردو بلاسكيز بيريز

رئيس اساقفة فالادوليد

رئيس اللجنة الأسقفية الإسبانية

المعنى المسيحي للحرية

الحرية بعد هام في كرامة الإنسان، وهو يقدرها عالياً عن حق ويدافع عنها مخاطراً أحياناً بحياته لأجلها. "الحرية قيمتها مثل جميع كنوز الأرض وهي جديرة بأن يموت الإنسان لأجلها" (جينوفونت). "الحرية الحقيقية علامة واضحة لصورة الله لدى الإنسان" (الرسالة البابوية: فرح ورجاء- رقم 17). "لم يعرف الناس قط معنى محدداً للحرية كما هي الحال اليوم (الرسالة البابوية: الكرامة البشرية- رقم 45). "في الأصل، خلق الله الإنسان وترك له السيطرة على حرية اختياره". توجد لدى الإنسان ملكة طبيعية في الاختيار وفي التصرف بمفرده من دون الاعتماد على الغير وفي الانصراف إلى عمل هذا الأمر أو ذاك وإلى التصرف بهذه الطريقة أو تلك. والحقيقة أنه خلال ممارسته لهذا الاختيار الحر، عليه أن يتحرر من التهديدات الداخلية والخارجية التي تتصدى لحرية. للإنسان مهمة يومية تكمن في تحقيق ما هو عليه وفي توطيد حرية باستمرار. "أنا أعلم من تكون، فعليك أن تعيش إذاً على مستوى كرامتك". ولكون الإنسان حراً، فهو مسؤول عن أعماله أمام الله وأمام نفسه وأمام الآخرين. لقد خلق الله الإنسان حراً وهو يحترم حرية، لأنه لا يريد عبداً يعبدوه بل أشخاصاً أحراراً. لقد تعرض الله بالذات لاستخدام حرية الإنسان الذي يمكن أن يحذرَه وأن يعصيه (التكوين 1/3، 7/4 - حزقيال 18).

نحن نفترض فيما سأقوله لاحقاً عن حرية الاختيار أنها تتعلق بالكائن البشري، رجلاً وامرأة، الذي خلقه الله على صورته ومثاله (تكوين 27/1). فهو مدعو، كونه على صورة الله، إلى أن يسيطر على جميع المخلوقات باحترام لله، خالقه.

قال البابا السابق بندكتس السادس عشر حين زيارته مزار القديس يعقوب في كومبوستيلا: "إنها لماسة أن يقال في أوروبا، خصوصاً في القرن التاسع عشر، بتأكيد واقتناع بأن الله خصم للإنسان وعدو حرية". يدعي الإلحاد الحديث أن الإنسان الحر سيكون النهاية وخالق تاريخه الوحيد، برفض الاعتراف بالله خالق كل شيء ونهاية كل شيء (فرح ورجاء، 20).

1- الحرية والابن الشاطر

مما تقدم، نفهم أن معنى الحرية يختلف جذرياً فيما إذا اعتبرناه بعيداً عن الله أو إذا ألحقناه بالسر المقدس الذي يقوم عليه الإنسان. ومثلما يشير إليه عنوان المحاضرة، نحن نعالج معنى الحرية المسيحية أي الحرية مأخوذة في ضوء كلام الله والتي نحصل عليها بالاتحاد ببسوع المسيح محررنا. لن نتحدث لا عن الحرية الدينية ولا عن الحرية الاجتماعية والسياسية.



الإطار الذي سنعين من خلاله مفهوم الحرية المسيحية هو مثل "الابن الشاطر"، كما جاء في الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس، أو مثل "الابن الضال" بحسب النص الإنجيلي ذاته (لوقا 15/24-32)، ويفضل تسميته "الأب الطيب" أو "محبة الأب". يحتل الأب المكانة المركزية في المثل، وهو الشخصية الأصلية في الرواية، الذي ينتظر الابن الضال ويستقبله. إنه يخرج ويحاول إقناع ابنه البكر ليشارك في عيد الفرح بعودة أخيه. إنه والد الابنين الذي يريد التقريب بينهما أخوياً.

هذا المثل هو قمة أمثال يسوع جميعها. إنه يرسم ثلاث شخصيات بخطوط قاسية إنما بشرية إلى أبعد الحدود. يبرر يسوع من خلال هذا المثل والمثلين اللذين سبقاه إعلان البشرى السارة إلى المستبدين فيتحدى بذلك منتهيته. إنه إنجيل من يحترقهم الكتب والفريسيون (لوقا 11/2). إن موقف الأب الذي لا يتعبه الأمل والذي يفرح بعودة الابن الضال فيعيد إليه بنوته، إنما يؤكد سلوك يسوع الذي يستقبل الخطاة ويأكل معهم. بالمقابل، رأى الأخ الأكبر في غفران الأب للابن الضال الذي بدد ميراثه وفي بهجة الاحتفال تجاوزاً للحدود. وهو الذي كان يحسب نفسه كاملاً، واجه أباه ولامه لأنه لم يعطه جدياً واحداً يتنعم به مع أصدقائه. لقد عاش وهو الذي كان يحسب نفسه كاملاً، واجه أباه ولامه لأنه لم يعطه جدياً واحداً يتنعم به مع أصدقائه. لقد عاش في بيت الأب كالغريب ومثل أي خادم فيه!

التناقض بين موقف الأخرين اللذين يعكسان تصرفات الكتب والفريسيين من جهة والعشارين والخطاة من جهة أخرى، وبين طيبة الأب التي يظهر يسوع من خلالها، تبين الروح الجديدة للإنجيل. الله هو هكذا وهو يتصرف بهذه الصورة. الله رحمة لا متناهية تتجاوز الحسابات المنطقية تجاه الابن الضال وتجاه الابن المطيع. والإنجيل الذي أعلنه يسوع وعاشه وجسده يرتسم عبر هذه التناقضات. لا يظهر ذلك في هذا المثل النفيس فقط بل في مقاطع إنجيلية أخرى أيضاً حيث تُظهر المجابهة بين هذين النموذجين من الشخصيات فرادة الإنجيل الذي يمثل يسوع بالذات. والمقاطع التالية تظهر هذا التناقض: مثل المدينتين (لوقا 41/7-42، متى 21/14-35)، ومثل الفريسي والعشار (لوقا 9/18-14)، ومثل الابنين (متى 21/28-31)، وعظة التطويبات واللعنات (لوقا 6/20-26)، ومثل الدينونة العظمى (متى 25/31-46).

رسالة يسوع هي إعلان للخلاص، وهي تفضح في الوقت ذاته جميع من يقاومون قبوله، فهي موجهة إلى الجميع. يتوجه الإنجيل إلى كل منا بصورة حاسمة فيدعونا إلى الاهتداء وإلى الحذر من خطر الضياع النهائي. "المبدأ الأساسي في علاقة الله بالخطي هو أن الله يحب الخطي حتى لو كان في خطيئته، أي يحبه حتى قبل أن يهتدي، وما هو أفضل، أنه يحبه بطريقة تجعل الاهتداء ممكناً حقاً، هذا هو الحب الإلهي" (مانسون و فينر ماير). لقد بادر الله وأحبنا أولاً (يوحنا الأولى 4/9. 10-16). كل واحد مدعو إلى الاهتداء الذي يمكن أن يتحقق بنعمة الإنجيل، وهو يُحذّر أيضاً من خطر الضياع إذا ما قاوم أن يرى بعينه وأن يسمع بأذنيه وأن يفهم بقلبه (متى 10/13-15). البسطاء فقط يفهمون أسرار ملكوت الله (لوقا 10/21-23). "لا يمكن أن نرى جيداً إلا بالقلب" (الأمير الصغير - سانت إكزوبيري).

يتعلق مفهوم الحرية الذي يجري تداوله في سلسلة محاضرات تجمع الكوبلات هذا بمقطع من الابن الضال: "يا أبت، أعطني النصيب الذي يعود عليّ من المال" (لوقا 12/15). يقرر الابن الأصغر مغادرة البيت الأبوي. يريد أن يعيش مغامرة لأنه تعب من حياة العائلة. وجّه حياته بكل حرية على طريق الضياع. نحن أحرار ولكننا لا نستطيع فعل أي شيء: يمكننا أن نختار بين الحياة والموت، بين البركة واللعنة (تكوين 15/2-17، تثنية 11/26-28). يربح الإنسان في الحرية إذا ما اختار الخير ويخسر إذا ما اختار الشر. يجب عدم الفصل بين ممارسة الحرية وبين الحقيقة والخير. ليس الإنسان من يحدد ما هو خير وما هو شر في خياراته لأن حرية الإنسان الحقيقية تقتض التوافق مع إرادة الله ومع نظام الخليفة.

لا يهدف المثل إلى طرح سؤال قانوني حول أحقية الابن في طلب حصته من الميراث من أبيه أو حول إذعان الأب لطلب ابنه. لسنا بحاجة إلى تدخل قانوني لنفهم معنى المثل. كان في هذه الحالة شكلان لنقل



الأمل من الأب إلى ابنه: النقل بالوصية أو بالهبة وهو على قيد الحياة مع ما يتطلب ذلك من إجراءات مناسبة (تنثنية 17/21).

ما أن حصل الابن على مال الإرث حتى غادر بيته وذهب إلى بلد بعيد. تشير مراحل الرواية إلى انهيار الابن في درك يزداد عمقاً وإلى زوال حريته التدريجي. وحين اعتقد أنه نال حريته ازدادت عبوديته شيئاً فشيئاً. بدون الرغبة في تعميم مثل الأب الصالح والابن الشاطر والضال، وبدون تمويه الوجه الخاص لإنجيل يسوع، يمكننا أن نكتشف في هذا المثل جوانب مبدئية ومعبرة أشد التعبير من الحياة البشرية وحياة العائلة: الحرية والمسؤولية، المغامرة والانحراف، الانسلاخ وضياح الشخصية، الحنين والعودة، طلب المغفرة والمصالحة، ألم الفراق وفرح اللقاء. ويشكل المثل مدافعة رائعة عن رسالة يسوع الخلاصية، وهو يحتوي في وصفه الشخصيات الثلاثة على لمسات دقيقة جداً من علم النفس البشري. إنه يُظهر لنا كثافة الله الرحوم والإنسان الحزين والإنسان البائس، الله الطيب بصورة غير معقولة، والشخص المنحط والإنسان قاسي القلب.

كم من مرة اختبأت العبودية المضطهدة تحت ستار الحرية! الحرية هبة وطريق وتقدم يومي. وأن يكون الإنسان حراً يعني أن يعرف كيف يتحرر من الكثير من الارتباطات وأن يضع مواهبه الذاتية في خدمة الآخرين. والحرية الكيفية والاعتباطية هي في الحقيقة نقص حرية.

تتميز الحرية البشرية بإمكانيات ومركبات مختلفة. إنها بالدرجة الأولى قدرة أساسية لدى الكائن البشري لكي يحقق ذاته كشخص. والحرية البشرية تاريخية أيضاً لأن الإنسان بقيامه بأفعال حرة ينتقى ويتجذر ويقوى. وفي حين أن الفردانية متمردة على الألفة فإن الفرد والجماعة يزدادان غنى بصورة متبادلة. الحرية هي صفة الشخص الفريد والوحيد الذي لا يستطيع الذوبان لا في أنانيته ولا في انغلاقه على ذاته ولا في الوسط أو المجال التكنولوجي. وبالرغم من أن حرية الإنسان هي دائماً حرية مشروطة ومحدودة كونه خليفة، فهي تظل السمة الأساسية والأكثر سموً للكائن البشري. وكرامة الإنسان الثابتة لا تتفصل عن الحرية التي لا يستطيع التخلي عنها والتي يجب ألا يتنازل عنها.

للحرية في المسيحية أبعاد جديدة. ولكي تكون حرية ممنوحة من الله إلى الإنسان المخلوق على صورته، يجب أن تظل حرية لا يمكن رفضها طاعة لله، وحرية تتوحد ذاتياً. إنها حرية مجروحة بيد أن الخطيئة لا تزيلها. إنها حرية فداها يسوع المسيح والروح القدس. الحرية المسيحية هي حرية يتلقاها الإنسان كهبة من الله. وباتحاده بالله، يمكن أن يجعل حريته تثمر في المحبة. "وحده بالحب تكون الحرية الحقيقية، ووحده بالإيمان تكتسب هذه الحرية أجنحة". (نشيد طقسى). الإنسان الذي يحب الله يتمثل بالحب مع إرادته ووصاياه. (ماكس مولر)

2-حرية الخطيئة والشريعة والموت

دعوتنا وطريقنا وكرامتنا هي في أن نكون أحراراً. "إن المسيح قد حررنا تحريراً. فاثبتوا إذاً ولا تدعوا أحداً يعود بكم إلى نير العبودية" (غلاطية 1/5) "إنكم أيها الإخوة، قد دُعيتُم إلى الحرية، بشرط واحد وهو أن لا تجعلوا هذه الحرية فرصة للجسد، بل بفضل المحبة اخدموا بعضكم بعضاً، لأن تمام الشريعة كلها في هذه الكلمة الواحدة: "أحب قريبك حبك لنفسك" (غلاطية 13/5-14). عمل يسوع الذي مات على الصليب وقام من بين الأموات يحرر الإنسان من الخطيئة ومن الشريعة ومن الموت. واسم الخلاص هو أيضاً تحرير واقتداء ومصالحة وحياة جديدة. وشعب إسرائيل الذي تحرر من عبودية مصر والذي رأى في عودته من أسر بابل خروجاً جديداً، كان ينتظر المسيح، المحرر والموعود من الله.

تُختصر رسالة يسوع بأقوال النبي أشعيا (أشعيا 61/1-2): "روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشّر الفقراء وأرسلني لأعلن للمأسورين تخليّة سبيلهم وللعميان عودة البصر إليهم وأفرج عن المظلومين وأعلن سنة



رضا عند الرب" (لوقا 18/4-19). وسوف ينشد بولس معبراً عن فعل شكر: "فهو الذي نجانا من سلطان الظلمات ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، فكان لنا فيه الفداء وغفران الخطايا (قولسي 13/1-14). يسوع المسيح هو "حمل الله الحقيقي الذي حمل خطيئة العالم. وهو بموته قضى على الموت وقيامته أعاد الحياة" (مقدمة فصحية). أمام الصليب المرفوع في وسط الجماعة المسيحية يمكننا أن ننشد: "بشجرة الفردوس نحن عبيد، وبشجرة الصليب، نحن أحرار". إنها كلمات أحد أناشيد عيد ارتفاع الصليب المقدس.

"تفهم الحرية في العهد الجديد بأنها تحرر من الخطيئة (روما 6/18-23، يوحنا 8/31-36)، وتحرر من الشريعة (روما 6/21 و 21/8، غلاطية 4/2 و 21/4-31 و 1/5، 13) وتحرر من الموت (روما 6/21 و 21/8). التحرر الذي أقامه المسيح وأعلنته بشارة الإنجيل والذي يفعله الروح القدس والذي (21/8)" (هـ. شليبر نتقبله من خلال الإيمان والعماد، يخلصنا من هذه التسلمات الثلاثة التي جعلنا عبيداً: الخطيئة والشريعة والموت. إنها ترتبط فيما بينها وتمارس هيمنتها بالطغيان. يلزمنا بالتأكيد تفسير دقيق يتعلق بأصل الجنس البشري لكي نفهم بشكل ملائم وجودنا الشخصي وثقافتنا. وحتى رسائل بولس التي تتحدث بإسهاب عن الخطيئة والشريعة والموت، أكان في عبودية الإنسان أم في التحرير الذي حققه يسوع، تتطلب قراءة يفيظة. ويتوافق في هذه الرسائل غنى محتواها وصعوبة فهمها، ولا يمكننا في هذا المجال إلا عرض بعض الاعتبارات المختصرة منها.

لا يعني التحرر من الشريعة نقضها أو ترك الطريق مفتوحاً للنزوات، كما أن التحرر لا يعني إطلاق العنان للمصالح الذاتية أو الاستسلام للميول الأنانية (روما 8/3، 1/6، 15). يجب ألا تنقلب الحرية التي وهبها يسوع المسيح إلى ذريعة لأجل الجسد (غلاطية 13/5، 1 بطرس 2/16، 2 بطرس 2/19). المسيحي حر وقد حرره المسيح، ولكنه ليس بالمتحرر من كل قيد فيعارض الشريعة ويحيا بدون قانون. في ضوء قراءة رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية، يمكننا أن نفهم معنى التحرر من الشريعة بالارتباط مع الحب. من يحب الله ويحب أخاه يتمم الشريعة (مرقس 12/28-34). "من لا يحب، سجين وهو لا يعرف الحرية. أنتم كنتم الحرية لعبوديتنا الكبرى" (القيسة تيريزيا الطفل يسوع- القصيدة 18). كمثال على ذلك، الزوج الذي يحب زوجته لا يحتاج إلى مراجعة قائمة الواجبات الزوجية يومياً، حتى أنه بإمكاننا أن نؤكد بانه ليس بمؤشر لحياة زوجية سليمة إن كان على الزوجين اللجوء إلى القاضي في سبيل حماية حقوقهما. الحب موجود في جذور عملية تحقيق القانون. وكلما كان الحب أصيلاً كلما كانت الالتزامات الزوجية مصونة بشكل أفضل، وكلما كان الضمير حياً كلما تحقق القانون بشكل أفضل. وفي هذا المنحى، يمكن فهم المقولة التالية: "أحبه وافعل ما شئت". الحب لا يدعو إلى عمل الشر ولا إلى خيانة القرين بل هو يدعو إلى محبته بعمق وإلى بذل الحياة لأجله. لذلك، يمكننا أن نقول بأن الحرية تسمى في الحب وتجعلنا نخدم بعضنا بعضاً. (1/9-19، 23/10).

الحرية المسيحية، عمل الروح القدس، شريعة المسيح، الإنجيل، العماد، المحبة... هي حقائق تساعدنا من خلال ترابطها الوثيق على فهم التحرر الذي تعنيه. وعلى المسيحي، لكي يتمم الشريعة الإلهية بما فيها من توصيات وممنوعات، أن يتبع "شريعة المسيح" (غلاطية 2/6 و 1 كورنثس 21/9)، أو "شريعة الإيمان" (روما 27/3) وأن يعمل بالمحبة (غلاطية 6/5) فهي "شريعة الروح" (روما 2/8). علينا أن نعمل مثل الذين ستحاكمهم "شريعة الحرية". نحن المسيحيين لم نتلق روح العبودية لنعود إلى الخوف بل روح أبناء الله لكي نعيش في حرية بنوية (روما 15/8). "وأعطيك قلباً جديداً وأجعل في أحشائكم روحاً جديداً وأنزع من لحمكم قلب الحجر، وأعطيك قلباً من لحم، وأجعل روحي في أحشائكم وأجعلكم تسبرون على فرائض وتحتفظون أحكامي وتعملون بها" (حزقيال 26/36-27). تعاش الحياة بحرية بالسير "بحسب الروح" فهو الوسيط الجديد وهو بمثابة محرك لوجود المؤمن، بعكس العيش "بحسب الجسد" فهو الطبيعة البشرية الضعيفة حين تبتعد عن الله. المبدأ أن المتعارضان، الروح والجسد، ينتجان ثماراً متعكسة تبين فيما إذا كان الشخص حراً ويسير نحو الحرية أو عبداً يعيش تحت نير العبودية (غلاطية 5/16).



هناك حقائق تهدد في السيطرة على الإنسان وجعله عبداً. بعض هذه الحقائق ذُكرت في العهد الجديد، وبعضها الآخر اكتسبت سلطة طاغية في أيامنا هذه. لا يمكننا أن نخدم الله والمال (متى 24/6) لأن الطمع هو عبادة للأوثان (قولسي 5/3)، وللملذات أحياناً سيطرة استبدادية (غلاطية 19/5-21). واليوم، يمكننا أن نشير إلى أنواع الإدمان والمخدرات والميسر. وكلما استسلم الإنسان إلى هذه التأثيرات، كلما استعبده وأهانته وحطت من قدره. نحن نرى الإنسان مشدوداً إلى الخير الذي يريد فعله بينما يفرض الشر سلطته عليه (روما 25/15).

حين تجديد وعود المعمودية في السهرة الفصحية، يسأل الكاهن المؤمنين: "هل تكفرون بالخطيئة لكي تعيشوا في حرية أبناء الله؟". في هذه الليلة المقدسة، يعدُّ المعمدون وقد أنعشهم روح يسوع الذي قهر الموت، يعدون أمام الملاء أن يعيشوا كأبناء للنور والمحبة والحرية.

أجرة الخطيئة هي الموت (روما 20/6-23). حين نفصل عن الله وهو مبدأ الحياة نكون موتى داخلياً. وكتب القديس بولس بتعابير قوية تتضمن الحقائق الجائرة التي حررنا منها سيدنا يسوع المسيح: "شوكة الموت هي الخطيئة، وقوة الخطيئة هي الشريعة". الموت الذي يعرف كل شخص حتميته، يمارس على الحياة البشرية تأثيراً يأخذ شكل الخوف والقلق والضيق. فإن لم يعتبر الإنسان الموت جزءاً من الوجود، سوف يسير نحو أفق محدود ومستعبد. وبمقدار ما يحرص الإنسان على تجنب التفكير بالموت وبتأثيره المقيت على الحياة، بمقدار ما يحاول التخلص من هذا التأثير بالانصراف إلى أمور أخرى أو بالتلهي، وهذا مستحيل ففكرة الموت تفرض ذاتها عليه لا مناص في ذلك. كان هذا واضحاً بالنسبة إلى الحضارة اليونانية: "أن تصبح حراً يعني أن تتحرر أولاً من رهبة الموت" (شليمر)، والرسالة إلى العبرانيين بينت ذلك بمنظور مسيحي: "فلما كان الأبناء شركاء في اللحم والدم، شاركهم هو أيضاً فيهما مشاركة تامة ليكسر بموته شوكة ذلك الذي له القدرة على الموت، أي إبليس، ويحرر الذين ظلوا طوال حياتهم في العبودية مخافة الموت" (14/2-15). إنه إثبات مؤكد وشديد العمق في أن.

سبق وظهرت حرية أبناء الله في الواقع الحياتي للمسيحي ولكننا ننتظر اكتمالها في المجد (روما 14/8). والروح القدس يفدنا يومياً من ميولنا نحو العبودية لأنه "حيث يكون روح الرب، تكون الحرية" (2 كورنثس 17/3). الروح القدس هو في الوقت ذاته مبدأ الحرية والوحدة في حياة المسيحي والعائلة والكنيسة التي تشكل جسد المسيح.

3- الحرية المسيحية والعائلة

بولس ويوحنا هما المعلمان الأكبران للحرية المسيحية في العهد الجديد. وبعد أن اطلعنا على رسائل القديس بولس، لنسترجع بعض التعاليم الأساسية للإنجيلي يوحنا.

في أحد خطاباته التي وجهها إلى اليهود، وكان الموضوع موضع جدل، سألهم يسوع عن الحرية الحقيقية. "فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إن ثبتم في كلامي كنتم تلاميذي حقاً تعرفون الحق والحق يحرككم" (يوحنا 31/8-32). الحق الذي يحرر الإنسان هو وحي الله بيسوع المسيح في روحه القدس، وهذا لا يكفي كما تقول اليهودية: "التوراة هي الحقيقة ودراستها تحرر الإنسان"، وكما كان الغيورون يعتقدون بأنهم سينالون الحرية بالثورة العنيفة ضد روما. البقاء في الحق الذي أعلنه يسوع هو ينبوع الحرية الذي لا ينضب. يجب ألا يفصل الحق عن الحرية فانفصالهما يعني دمارهما المشترك. الحرية بمعزل عن الحقيقة واهية، أما الحرية المسيحية فهي حقيقية وثابتة وأصلية. البقاء في الحق والحرية، والإيمان بيسوع كتلاميذ له، يتداخلان. ليست الحرية بمبدأ شكلي أجوف. يمكننا اختيار الشر بكل حرية فنخسر حياتنا، ويمكننا اختيار الخير الحقيقي بكل حرية فنحقق بذلك الحياة بأصالتها.



اسمحوا لي أن أذكر باختصار مفهوم الحرية وطريقة عيشها بحسب المذهب الرواقي الذي لاقى أحياناً تجاوباً في بعض الأوساط وفي توجهات الدين المسيحي. يقول الرواقيون بأن الإنسان الحر هو الإنسان الذي يلجأ (التي تعني عيش الإنسان Ataraxie إلى ذاته أمام صخب العالم. والكلمة الرئيسية هي "راحة الضمير") بسلام بالسيطرة على مشاعره وعلى خوفه من الموت. ويتطلع الرواقيون إلى العيش بأمان، من دون أي منغصات، "بحسب الطبيعة" وذلك بتهدئة انفعالاتهم بقوة المنطق، وستكون هذه الحرية أساساً لسعادتهم.

ثم عتّف يسوع اليهود بتأكيديه لأقواله السابقة: "الحق الحق أقول لكم: كل من يرتكب الخطيئة يكون عبداً للخطيئة. والعبد لا يقيم في البيت دائماً أبداً بل الابن يقيم فيه للأبد. فإذا حرركم الابن كنتم أحراراً حقاً" (يوحنا 34/8-36). ويسوع كونه من أظهر الأب بصفته الابن المتجسد، هو أيضاً الوسيط للحرية الأصلية. هناك التزام مشترك بين الابن والحرية، وبين الابن والعائلة. يشير يسوع إلى الطريقة التي طرد فيها ابراهيم هاجر الجارية وابنها (تكوين 10/21، غلاطية 30/4-31). نحن المسيحيين من سلالة ابراهيم بواسطة سارة، المرأة الحرة، وبواسطة اسحق ابن الوعد. نحن أولاد بالابن وبالتالي نحن من سكان بيته. "أما المسيح فهو مؤتمن على بيته لكونه ابناً، ونحن بيته" (العبرانيين 6/3).

اعتباراً من هذا الارتباط بين الابن والبيت، يمكننا أن ننظر من جديد إلى الابن الضال الذي غادر البيت الأبوي تاركاً أباه ومحتقراً حياة العائلة. لقد فضل العيش بعيداً بدل البقاء في بيته. اختار العبودية بدلاً من العائلة. لم يكن يتصور أنه سيعرف الوحدة والأنواء بعيداً عن بيته.

بدل "العين بالعين والسن بالسن" (متى 38/5) الذي يقود جميع العوران وناقصي الأسنان نحو المنحدر المدمر، يعارض يسوع: "أحبوا أعداءكم، وأحسنوا إلى مبغضيك، وباركوا لاعنيكم، وصلّوا من أجل المفترين الكذب عليكم" (لوقا 27/6-28). الحقد للحقد يعزّز دوامة الحقد، والاستجابة للعنف تعزّز دوامة العنف. بالمقابل، الشخص الأصيل والقوي هو من يستطيع كسر سلسلة الحقد. إن لم يكسر الحب تفاعل الأنانية والفوقية، سوف ينتهي بنا الأمر إلى أن نصبح ضحايا أنانيتنا الذاتية التي لا تتنازل وعنادنا الذي تغذيه شهوة الانتقام.

نعاند أحياناً في البقاء على الطريق السيء الذي سلكناه، فيستولي علينا غيظ طاع. بقوة الحب والمغفرة والمصالحة وحدها، نستطيع التغلب على أفكارنا التي تغذيها أنانيتنا المضطربة والمدمرة. وهرب الابن الضال إلى بلد بعيد يمكن أن ينطبق على كل منا بحسب قصته وطريقة تصرفه.

قبل أن أختتم، يبدو لي مناسباً في هذا اللقاء لفرق السيدة أن أذكر بالإرشاد الرسولي الرائع "فرح الحب" وبالفصل الرابع منه وعنوانه "الحب في الزواج" الذي اعتبره البابا فرنسيس قلب الوثيقة. أصبح الحب كلمة شائعة ومشوهة بكثرة. وكانت القديسة تيريزيا الطفل يسوع تشكو من تحويل هذه الكلمة لصالح حقائق أخرى. نحن بحاجة في ثقافتنا إلى إنقاذ كمال هذه الكلمة ومحتواها النفيس. والفصل الرابع يجعل نشيد المحبة المذكور في الفصل 13 من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ينطبق على العائلة وعلى الزوجين وعلى علاقتهما بأولادهما. إنه يوضح بصور جميلة وإيحائية صفات المحبة المسيحية التي تجد في يسوع تجسيدها الكامل والتي يجب أن تنير وجود تلاميذه. المحبة هي الخلاصة والتركيز والقوة و "الروح" لوصايا شريعة الله. "لأن تمام الشريعة كلها في هذه الكلمة الواحدة: أحب قريبك حبك لنفسك" (غلاطية 14/5). يجب أن يتحقق هذا الأمر بين كل زوجين، لأن لهما في محبة يسوع المسيح مرآة يتاملون فيها عظمة حبهما



وجماله. الرسالة البابوية "فرح الحب" غنية جداً بالتعاليم والاقتراحات والإرشادات. الحب عطاء وتقبل متبادل، احترام متبادل، صبر وخدمة، تواضع ومسامحة. "البسوا عواطف الحنان واللفظ والتواضع والوداعة والصبر. احتملوا بعضكم بعضاً، واصفحوا بعضكم عن بعض إذا كانت لأحد شكوى من الآخر. فكما صفح عنكم الرب، اصفحوا أنتم أيضاً. والبسوا فوق ذلك كله ثوب المحبة فإنها رباط الكمال" (قولسي 12/3-14، أفسس 2-1/4، 32). "لذلك يمكن أن يذهب الحب إلى ما هو أبعد من العدالة وأن يفيض بمجانية" غير طالب عوضاً" (لوقا 35/6) حتى بلوغ الحب الأعظم وهو "تقديم الحياة" لأجل الآخرين (يوحنا 13/15) (فرح الحب 102). تتحقق الوصايا بشكل كامل وبسخاء بواسطة الحب.

"لا تتم حماية الحب الزوجي بالتحدث أولاً عن لا انفساخ الزواج كفرض أو بترديد العقيدة بل يتم بتعزيزه بفضل النمو المستمر الذي تفعّله النعمة" (فرح الحب 134). هذا الشكل من الحرية لأجل الحب هو الانتصار على الشريعة وعلى الخطيئة. الحب المسيحي الذي ينبع باستمرار من روح يسوع المسيح الذي سلّم لأجلنا والذي لا يزال حياً إلى الأبد يطبع بأصالته الزواج المسيحي (أفسس 21/5). والعائلات مدعوة أيضاً إلى إعلان البشارة بتقديمها خدمة نفيسة في أن تكون شواهد مضيئة لجميع الذين يشعرون بالحنين إلى العائلة سواء لأنهم فقدوها أو لأنهم لم يعرفوها أبداً أو لأنهم يستعدون لتكوين عائلتهم الخاصة.